خطبة الجامع الأموي لفضيلة الشيخ مأمون رحمة

٢٢ من شوال ١٤٣٦ هـ / ٧ من آب ٢٠١٥ م

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على نور الهدى مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة، ومن اهتدى بهديهم واستن بسنتهم إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله عز وجل، واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين.

يقول المولى ﷻ في محكم التنزيل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

معاشر السادة: للعرب وللمسلمين في الخارج آلام ومشكلات لا مساغ لتجاهلها، ولسنا نحاول التماس الراحة للذين خرجوا من بلادهم وتركوا أوطانهم واحتواهم مستقبل غامض، فمن هؤلاء فارون من الحروب ومظالمها، حيث وجدوا طمأنينتهم في أوربا وأمريكا إلى حين، ومن المهاجرين أناس تنازلوا عن جنسياتهم الأولى وحَملوا جنسيات البلاد التي انتقلوا إليها، وأكثرهم نسي دينه الموروث أو بقي عليه وهو زاهد فيه، ومن المهاجرين طُلاب أرزاق لم ينقطعوا عن دينهم ولا عن وطنهم، ولكن استغرق أوقاتهم وأعصابهم طلبوا القوت لأنفسهم وأهليهم، وفيهم مَن كان اسمه مُحَمَّداً ولكن الكنديين أو غيرهم يُبغضون هذا الاسم أشد البغض ويستحيل أن يَفتحوا لحامله باب رزق فهو يتنازل عنه إلى اسم آخر كي يحيى على اللون الذي يريد، وفيهم مَن أمره فرط وشهواته جامحة، ووجد المجال هناك ميسوراً لفنون اللذات، فأخذ يركض وراءها كأنه حيوان مسعور، وفِيهم من انتقل إلى الخارج ببدنه وبقيت روحه مُعلقة بمواطنه وشعائره، فهو يحن إليهما أبداً ولا يَشغله عنهما شيء.

ولا نغالط أنفسنا عندما نقول: لقد خسر الإسلام وخسرت العروبة الشيء الكثير من هذه الهجرات المتتابعة، فإن الغرب ملحٌّ في اغتيال ديننا وعروبتنا والإجهاز عليهما روحاً وبدناً، ومُستغلٌ للضوائق وأزمات الجفاف وسني القحط والمسغبة لِيُساوم المستضعفين على ضمائرهم وترك عقائدهم، ولعل من أكثر الهجرات الخارجية خطورة على البلدان العربية هي هجرة الكفاءات أو هجرة الأدمغة العربية إلى أوربا وأمريكا، لما لها مِن آثارٍ سلبية في التقدم العلمي والاقتصادي والاجتماعي.

وإننا نَلحظ في هذه الأيام هجرة كبيرة لدى كثير من الشباب، وجلُّ المهاجرين مِن الشباب تعود أسباب هجرتهم هروباً من خدمة العلم، ما هي الأسباب التي دفعت الشباب إلى أن يَسلكوا طريق الهجرة خارج أوطانهم، ولم يَسلكوا طريق الدفاع عن أرضهم وكرامتهم؟.

معاشر السادة: الشباب هم عدة المجتمع وعتاده وأمله في المستقبل، وهم حملة الراية وورثة الحاضر الذين سوف يَعهد إليهم المجتمع في المستقبل القريب بتحمل مسؤولياته وقيادة قطاعاته المختلفة، والدفاع عن الوطن والذود عنه وحماية مقدساته وثرواته، ولذلك على قدر ما ينجح المجتمع في إعدادهم وتأهيلهم وتنشئتهم تنشئة صالحة على قدر ما يعملون على تنمية المجتمع والنهوض به ورفع شأنه وإعلاء شأوه، ومن هنا يصبح على المجتمع أن يبذل كل ما يمكنه أن يبذله في سبيل تربية الشباب على القيم الوطنية والانتماء والإخلاص والوفاء والتضحية والإخاء، وعلى المجتمع أن يُذَلِّل ما يواجهه الشباب من مشكلات اجتماعية أو اقتصادية أو تعليمية، وأن يُحررهم مما يكبل طاقاتهم ويُقيد أيديهم وأذهانهم عن الانطلاق في سبيل العمل والعطاء والانتاج والإبداع المتواصل، والواجب على المجتمع رعاية الشباب، وتوفير الفرص العادلة والمشروعة أمامهم في التعليم والتوظيف والعمل، وحل مشكلات البطالة والتَّعثر الدراسي، وإعطاء كل شاب حقه وفقاً لما تمكنه سنه وقدراته، ورد في الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول

الله ﷺ يقول: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته)).

إن تصرفات بعض الشباب وبعض الأسر تجاه وطنهم ومجتمعهم تجعلك تتساءل: هل غاب الانتماء للوطن وأفلت شمسه في بعض النفوس؟ لشعور المرء بالانتماء إلى المجتمع الذي يعيش فيه أهمية كبيرة، والذي والمؤمن الحق هو الذي يتفاعل مع المجتمع الذي يعيش فيه، فالشعور بالانتماء مِن الحاجات الأساسية التي يَتعين على الفرد إشباعها، وإلا شعر بالعزلة والضياع والانزواء أو الانطواء على ذاته، كذلك فإن الشعور بالانتماء يعمل عمل الدافع في الإنسان فيحركه للعمل والعطاء والفداء والتضحية، والمحافظة على سلامة الوطن وأمنه وازدهاره وتقدمه والإعلاء من شأنه، وهذا الشعور أيضاً يساعد على توحد الإنسان مع وطنه، حيث يَسعد لسعادته ويتألم لآلامه، ويُصبح هو ووطنه جزءاً واحداً لا يَتجرأ، هذا الحاجة النفسية والاجتماعية القوية في الإنسان هَل ضعفت لدينا في هذه الأيام؟.

هناك من يَرمي الشباب بالضعف الشعور بالانتماء استناداً إلى بعض الظواهر، كالرغبة في الهجرة الدائمة أو المؤقتة، أو الرغبة في الثراء السريع الذي يُحقق بعض الغايات والمصالح، وفي مقابل ذلك هناك من الشباب مَن يعملون بتضحية وبروح فدائية لا تعرف التواكل، ولا تنظر للعوائد المادية أو المنافع الشخصية، ولكن تَبقى القلة النادرة التي ضعف الشعور بالانتماء عندها في الحاجة إلى العناية والرعاية والمعالجة، وإعادتها إلى حظيرة المجتمع وتنمية مشاعر الانتماء لديها الانتماء للدين والوطن والعروبة، ولكن كيف يُمكن تحرير هؤلاء من مشاعر السلبية واللامبالاة والتواكل والأنانية والأثرة والهروب مِن الواجب والمسؤولية؟.

لا شَكَّ أن هذه مسؤولية المجتمع برمته أفراداً وجماعات، وتقع المسؤولية الكبرى على المؤسسات التربوية والإعلامية، وعلى العلماء وعلى رجال الدين، ورجال السياسة والمفكرين، ورواد الإصلاح، فلا بد -يا سادة- من تغذية مشاعر الانتماء وحب الوطن، ويتأتى ذلك عن طريق حل مشاكل الشباب والنظر في قضاياهم المعضلة.

ولو تأملت في الطريقة التي يَخدم اليهود بها قضاياهم لوجدت فُروقاً شاسعة، هناك باطل يَحتال الأذكياء المخلصون على إنجاحه، وهُناك حق يُخفق القاصرون الهابطون في الصمود به والدفاع عنه.

كُلنا يَعلم وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا الذي قدمه هدية باسم السياسة إلى علم الكيمياء في شخص اليهودي "حايم بن عيزر وايزمان" الذي كان يَعمل أستاذاً للكيمياء في جامعة "مانشستر" بأمريكا، وذلك مكافأة وتقديراً لعبقريته في اختراع طريقة سنة ألف وتسعمائة وستة عشر لصناعة سائل الأستون من دقيق الذرة، حَيث أنقذ المجهود الحربي للحلفاء الذين كانوا حينذاك بحاجة ماسة لكميات كبيرة من ذاك السائل العجيب، حيث أبى اليهودي "وايزمان" أن يقبل مكافأة مادية ليشتري له ضيعة أو يبني "فيلا" يزخرفها بأنواع الرسوم والفسيفساء، فقد أصر أن تكون مكافأته مجرد وعد، -انظر أيها العربي، تأمل أيها المسلم- فقد أصر اليهودي "وايزمان" أن تكون مكافأته مُجرد وعد من حكومة بريطانيا العظمى لإقامة وَطن قومي لليهود في فلسطين، هذا العالم اليهودي خَدم مِلَّته وعَشيرته بما رأيت، وذَكر قومه ولم يَذكر نفسه، وخدم عقيدته ولم يخدم شهوته، وتوصل بعبقريته العلمية ليجمع شتات اليهود من أنحاء الأرض.

لقد أهاب الإسلام -يا سادة- بالمرء أن لا يترك وطنه مستباحاً للذئاب الضارية، بل عليه أن يُدافع عنه، وعلى المرء أن لا يلتفت إلى المثبطين للهمم والعزائم، ولا إلى المداهنين الذين يعيشون عيشة مزدوجة، فهؤلاء يفرون من أعباء القتال ومن مغارم بذل النفس والمال ومن تكاليف الواجب والمسؤولية.

إن الذين يتخاذلون في الدفاع عن أرضهم وعن وطنهم هُم ضعفاء إيمان، لماذا؟ لأن ضعفاء الإيمان لا يُحسنون العمل، فإنهم يَطيرون هنا وهناك دون أن يُربط على قلوبهم إيمان راسخ، ودون أن يُوجه مسلكهم عقل راشد، وقد وصف الله هؤلاء بأنهم طياشون، حيث قال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

إن محبة الأوطان من دلائل الإيمان، فما شرع الجهاد في سبيل الله إلا دفاعاً عن العقيدة والأوطان، ورداً للظلم والطغيان، إن حب الوطن يدعو كل مؤمن صادق أن يَكون وفياً لتراب الوطن الذي نشأ عليه، وأن يَصونه من كل غائلة ومن كل ترويع أو اضطراب، وهذا ما أشار إليه ابن الوطن القائد المؤمن بشار الأسد حفظه الله ورعاه عندما قال: (ليس الوطن لمن يعيش فيه، إنما الوطن لمن يدافع عنه ويحميه).

على الانترنت بعض المتصهينين يُعلق على كلمة السيد الرئيس بشار الأسد، وأنا أقول لكل من أراد أن يُعلق على مثل هذه الكلمة: إذا عشت ألف عام لا يُمكن أن تَصل إلى مستوى حذاء بشار الأسد في عُروبته ووطنيته وإسلامه، يقول ذاك المتصهين أو الصهيوني –سَميه مَا شِئت– يقول: إن الحكومة قد باعت سورية إلى إيران، هو يتهم الشيعة بأنهم اشتروا هذه الأرض، اشتروا سورية وعقيدتها وأهلها، نقول، والأمر ليس بحاجة إلى رد، لأنه كنا قال القائل:

ولقد أمر على السفيه فيسبني فمضيت ثمة قلت لا يعنيني

وقال آخر:

ولو أن كل كلب عوى ألقمته حجراً لأصبح كل حجر بدينار

ولكننا نقول لهؤلاء المتصهينين: إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية لَيست بحاجة إلى أن تشتري ولو شبراً واحداً مِن أرض سورية أو غيرها، لماذا؟ لأن إيران لها أرض ولها

شعب، ولها تاريخ وحضارة، أما أنتم يا خدام بني صهيون، أنتم مَن خدم الصهيونية العالمية ودمر الوطن وقتل أبناء الوطن، لكي تَشتري الصهيونية العالمية سورية والعراق وليبيا واليمن ومصر بعدها، كما اشترت فلسطين من قبل، لَكنكم لم تنجحوا في بيع سورية إلى إسرائيل، الذين تداوون جرحاكم في مشافيها، ويتفقد "نتنياهو" بطولاتكم لقتل وطنكم سورية، فصمود الشعب السوري وصمود الجيش العرب السوري هو وقف في وجهكم، في وجه بيعكم وشرائكم لسورية، المخطط أن تباع سورية، أن يباع جيشها، أن تباع قيادتها، حتى تُدمر وتباد عن بكرة أبيها، لكي تعلن إسرائيل دولتها وحدودها، لكن ما دام هناك أسود في هذا الوطن، وما دام هناك شرفاء، وما دام هناك رجال يَقولون الحق ولا يخافون في الله لومة لائم؛ لن تركع سورية، ولن تموت سورية، بل ستبقى سورية على مر التاريخ والزمان جَبلاً شَامخاً لا يتزعزع، ولا تهزه ريح أبداً.

معاشر السادة: مَن خرج خارج الوطن ورَحل إلى أوربا أو إلى أي بلد عربي سمعنا من الذين عادوا ومن الذين لم يعودوا قالوا: والله لقد فقدنا كرامتنا عندما تركنا وطننا، إذا أردت –أيها السوري– أن تُحافظ على كرامتك وأن تَعرف معنى الكرامة فَعليك أن تبقى في هذا الوطن، وكل سوري أكل من خيرات هذا الوطن وملأ بطنه وجيبه وعند الشدائد والأزمات رحل عن سورية وأخذ أولاده هروباً من خدمة العلم ليعيش في كنف الأوربيين أو في كنف العرب المتخاذلين، ما هو موقفك عندما يُعلن الانتصار في الجمهورية العربية السورية على الإرهاب وداعميه؟ أين يصبح اسمك؟ أين بصمتك؟ أنا عندما أقرأ عنوان بصمة شباب سورية أتباهى بهذا العنوان، أفتخر، أشعر بأنه هناك من شباب وأبناء هذا الوطن يعرفون قيمة هذا الوطن، وهؤلاء جنود مجهولون يقومون بخدمة الوطن، ويعملون على المصالحات الوطنية، وعلى تكريم رجال الجيش العربي السوري، وعلى تكريم عائلات الجرحى والشهداء، فنحن عندما نقرأ مثل هذا العنوان ندرك تماماً أن سورية يُدرك الكثير من أبناءها أنه سيسجل

التاريخ وستكتب الأجيال أن فلاناً تخاذل وهرب، وأن فلاناً أرسل ولده إلى تركيا أو إلى لبنان أو إلى أي بلد عربي لكي يُواريه من الموت كما يظن، مَن قال لك إذا تركت وطنك يُطال في أجلك وفي عمرك؟ من قال لك ذلك؟ كم هُناك مِن جندي في ساحات القتال منذ أربعة سنوات يُقاتل ويُواجه الإجرام والإرهاب والعدو والعدوان، وها هو ذا حي يرزق، وكم من أناس ماتوا في الشوارع بقذيفة هاون أو بِعَارض ما، فقدوا حياتهم واستغربنا موتهم، وهذا دليل على أن الموت بيد الله ﷻ، وأن الحياة بيد الله ﷻ، لكن بئس للنفوس وبئس الوجوه المسودة التي تترك سورية هروباً وفراراً من الموت، وفراراً من الواجب والمسؤولية.

يا سوريون: الأمور الدولية -كما تَسمعون في وسائل الإعلام المحلية والخارجية- كلها تَعترف اليوم أن سورية ظُلمت، بالعدوان والإجرام، وبالقتل والإبادة، وبتدمير البنى التحتية لهذا الوطن الحبيب، وها هم قد عادوا ليقولوا: يا دمشق، مدي يدك إلينا كما تعرفناها بيضاء طاهرة، فأنت أم الوفاء وأهل الوفاء، ولكن -أيها السوري- رَكْبُ الشرف والعزة والكرامة يفوتك، فالقطار يجري بنا بسرعة كبيرة دون توقف وانتظار، وطوبى لمن عرف قيمة سورية ودافع عن هذا الوطن، والله لا كرامة لنا إلا في سورية، ولا عز لنا إلا في سورية، ولا شرف إلا في سورية، ونحن لن نترك سورية لداعشي وفاحشي وغيره، لكي يعربد في مدننا وقرانا وبيوتنا وأحيائنا، ونحن نتوارى عن الأنظار لكي نختبئ في جحور الفئران والجرذان، ليست هذه من أخلاق الإسلام، ليست هذه من أخلاق الرجولة والشجاعة، ليست هذه من أخلاق العروبة، من ترك سورية هروباً من الواجب فليرجع وليلتحق وليتشرف بالدفاع عن هذا الوطن وعن أبناء هذا الوطن، فكلنا مشروع شهادة لا نخشى أحداً إلا الله، فإذا ذهبنا نحن وبقي الوطن هذا هو المطلوب، أما إذا ذهب الوطن وبقينا نحن ماذا نستفيد؟.

وأخيراً أيها السادة: كلنا قال: موجة حر قاسية، أين الكهرباء؟ أين الماء؟ أين الخدمات؟ قلناها لكم سابقاً قبل أن تقولوا: أين الكهرباء؟ أما قلتم: لعن الله من ضرب لنا الكهرباء؟ أما قلتم: لعن الله من أتى لنا بداعش والنصرة وفاحش؟ وقبل أن تقول ذلك ماذا قدمت لسورية؟ أين ولدك؟ هو في دمشق أم في استنبول؟ أين ولدك؟ هو في دمشق أم هو مختبئ في بيروت؟ أين ولدك؟ هو في دمشق أم هو مختبئ في دول الخليج؟ أين ولدك؟ عندها قل: أنا قدمت للوطن، أريد مقابل ذلك أن يقدم لي الوطن.

معاشر السادة: سوريا لا تحتاج إلى مناظرة ولا إلى تنظير ولا إلى توجيه، هذا الوطن يحتاج إلى رجال صادقين يدافعون عنه بكل ما أوتوا من إخلاص وقوة وجرأة، لأن الوطن أولاً وآخراً هو بيتنا الكبير، وهو مستقرنا، وفيه سعادتنا ورمز عزتنا وجاهنا.

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله، اتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه، وأن الله غير غافل عنكم ولا ساه.

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، اللهم ارحمنا فإنك بنا رحيم، ولا تعذبنا فإنك علينا قدير، اللهم إنا نسألك أن تنصر الجيش العربي السوري، اللهم إنا نسألك أن تكون لهم معيناً وناصراً في السهول والجبال والوديان، وأن تُثبت الأرض تحت أقدامهم، وأن تسدد أهدافهم ورميهم يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك أن تنصر المقاومة اللبنانية، وأن تكون لهم معيناً وناصراً، اللهم إنا نسألك أن توفق السيد الرئيس بشار الأسد إلى ما فيه خير البلاد والعباد، وخذ بيده إلى ما تحبه وترضاه، واجعله بشارة خير ونصر للأمة العربية

والإسلامية، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.